نصُّ كلمة **الأديب ناجي نعمان**، صاحب دار نعمان للثَّقافة، ورئيس مؤسَّسة ناجي نعمان للثَّقافة بالمجَّان،
في حَفل توقيع كتاب "حَفِرني عَ قلبَك"، جامعة الشَّرق الأوسط – السَّبتيَّة، في الثَّامن عشر من أيَّار ٢٠١١.

أيُّها الأحِبَّة،
جَمْعًا مُباركًا قِطافُه تَنزيلُ حَرفٍ ووَتَرٍ وإزميلٍ وريشَة، وبَعدُ،

قد لا تتجاوزُ مِنبَريَّاتي، على الرَّغم من الشَّيب الَّذي غَزا هامَتي، عددَ أصابع اليد الواحدة؛ ذلك أنِّي لَطالَما آثَرْتُ العملَ على الكلام.

وما كنتُ لأكونَ معكم، اللَّحظةَ، لولا طلبٌ من جَليلٍ أوَّلَ، صديقٍ مُحِبٍّ وأخٍ أكبر، عنَيتُ الفَقيهَ الدُّكتور ميشال كعدي، كبيرَ مُستَشاري دار نعمان للثَّقافة على ما دَرَجَ عليَّ أن أُسَمِّيَه.

كما ما كنتُ لأكونَ معكم لولا جَليلٌ ثانٍ تعرَّفتُ به وإليه اليومَ بالذَّات؛ جَليلٌ سبَقَ ووَجدتُ في رَسمه وسيرته العَطائيَّة الطَّويلة، تربويًّا وتعليميًّا، كما في مَزجِه عَظيمَي التَّخاطُبِ الإنسانيّ، الكَلِمِ والوَتَر، فضائِلَ لا إلى وَصف، عَنَيتُ الدُّكتور الياس لبيب شوفاني، ذاك الَّذي عَرَفَ كيف يكونُ للكَلِمِ اليَراعَةَ وللوَتَر الرِّيشة، وانبَرى، بإنسانيَّته المُتَجَلِّيَةِ كلمةً ونَغَمًا، يُوَزِّعُ حبًّا مجَّانيًّا، فاستحقَّ جائزةَ المثَلَّث الرَّحمة المِتروبوليت نقولاَوُس نعمان للفَضائل الإنسانيَّة.

لن أُطيلَ، أيُّها الأحبَّة، في الكلام على شوفاني، أو على "حْفِرْني عَ قَلبَك"، كتابِه، فالمِنبَريَّان، البروفِسُّور الأديب مُنيف موسى والفنَّانُ النَّقيبُ جان قَسِّيس، مَشكورَين، شَنَّفا سَمْعَنا بأطيب العِبارات فيه، كما أتحفَنا أميرُ الارتِجال، الشَّاعِرُ الياس خليل برائِع زَجَلِه فيه أيضًا. حَسْبِيَ، السَّاعةَ، أنْ أُؤكِّدَ لكم أنْ الأحلامَ إنَّما وُجِدَتْ لِتَتَحقَّقَ، والبَشَرُ هم الَّذين يُحقِّقونَها، بالعَزم والإيمان والمُثابَرَة.

وإنَّ الثَّقافةَ المَجَّانيَّةَ الَّتي حَلَمْتُ بها منذ نُعومَة أظفاري، حقَّقتُها، على مراحِلَ؛ وأرجو، اليومَ، بعدَ ثلاثة عُقودٍ ويَزيد، وبفَضل مؤسَّسة الثَّقافة بالمجَّان المُنطَلِقَة مؤخَّرًا، أنْ تأخُذَ أبعادًا جديدةً، وبتعاونٍ من الجَميع.

لقد دَعَتني المَجَّانيَّةُ، أيُّها الأحبَّة، فلَبَّيتُ النِّداءَ، وتابعتُ أنشِطتي الثَّقافيَّةَ المختلِفَة – بقدراتي الفَرديَّة، دونَما مُساعدةٍ ماديَّةٍ من أيِّ جهة، رسميَّةً كانَت أم خاصَّة، وغالبًا تحت سَيف المَديونيَّة المُصلَت – أقولُ تابعتُ أنشِطتي الثَّقافيَّةَ المختلِفَةَ حتَّى أُطلِقَ عليَّ لَقَبُ "مجنونِ الثَّقافةِ بالمَجَّان"، لِمَدى اللَّوْثَة الَّتي ابتُليتُ بها لصالِح الأدب والثَّقافة، ومجَّانيَّتَيهما.

نَعَم، أُطلِقَت عليَّ صِفَةُ الجُنون، فشكَرتُ العَلِيَّ على أنَّه أصابَني بتلك العِلَّة، لا بِسِواها من عِلَل العَصر وكلِّ عصر، مِن مِثل الحَسَد، وصِنوِه الكَذِب، وما إليهما من أمراض السَّعي للشُّهرة بأيِّ طريق، فيما لا شُهرةَ في المُطلَق.

وأمَّا لِسائِلٍ عن الغاية من المَجَّانيَّة لديّ، فأقولُ إنَّنا أُعطينا الحياةَ بالمَجَّان، أفلا نُعطي ما في فِكرنا للآخَر، محبَّةً منَّا له؟ أم إنَّ الخَيرَ للخَير اندَثَرَ في عالَم المادَّة

والأنانيَّة، حيثُ الجَشِعُ لم يَعُدْ يفهَمُ ما العَطاء، والكاذِبُ ما الصِّدق، والحاسِدُ ما الغَيريَّة؟

إنَّ الثَّقافةَ، لَطالَما ردَّدْت، لا تُشرى ولا تُباع، وهي، لَطالَما اعتقَدت، إنْ كانَت مُنفَتِحَةً وحرَّةً، صَنَعَتِ السَّلام. وإذا كانَ من شأن الثَّقافة أن تصنعَ السَّلامَ بين البَشَر، فكيفَ لنا، باللهِ عليكم، ألاَّ نجعَلَها مجَّانيَّةً في سبيل مِثل هذا السَّلام؟

وأمَّا أمَلي فأنْ تَصيبَ المَجَّانيَّةُ البَشرَ بعَدواها، في المَجالاتِ كافَّةً، فتَنمو وتَنمو في ما بينهم، لِهَنائهم، جميعِهم، بحيث يهتِفون معًا، دائمًا وأبدًا، أنِ "المَجدُ لله في العُلى، وعلى الأرض السَّلام، وفي النَّاس المَسَرَّة".

وإنِّي – لِمناسبة تكريم الدّكتور شوفاني، أحدِ أعمدةِ مدارسِ الأدفِنتِسْت الزَّاهرة – قصَدتُ تعميمَ المجَّانيَّة أكثر، مُضيفًا إلى توزيع "حْفِرْني عَ قلبَك" بالمَجَّان، آخِرَ الجديد من كُتُب دار نعمان للثَّقافة؛ لا بَل وأغنمُها، اللَّحظةَ، فرصةً لأقدِّم للأدفِنتِسْت، إدارةً وطلَبةً وأهاليَ، كُشكًا صغيرًا دائمًا للكُتُب المجَّانيَّة، يبقى مَفتوحًا أمام الجميع، وتؤمِّنُ مؤسَّسةُ الثَّقافة بالمَجَّان تزويدَه بكلِّ جديدٍ من كُتُبها، إلى ما قدَّرَ اللهُ، وشاء!

ألا زالَتِ الثَّقافةُ نِبراسَ الأحرار والمُلهَمين في كلِّ مكان. ودُمتُم،